جوانب السيرة النبوية صل الله عليه وآله وسلم فى تفسير القشيرى للامام القشيرى

رحمى عمران*

نجمه بانو**

Abstract

The Holy Qur'an is a major source of Qur'anic teachings and Rest of Islamic science. Interpretation of Holy Qur'an has become very important from early period of Islam as Hazrat Ibn –e-Abbas was entitled: Tarjuman-ul-Qur'an. A lot of commentators have contributed towards interpretation of Holy Qu'ran .Imam Al-Qushayri was one of them, he has great contribution in this field. He wrote a complete commentary of the Holy Qu'ran entitled: Lata'ifal-isharat fi Tafsir al-Qura'n (The subtleties and allusion in the commentary of Holy Qur'an) His most famous work, however, is his Risal ila al-Qushariya or epistle to the Sufis, which is one of the complete Encyclopaedia of Sufiasim. The article entitled: Aspects of Alseerah Alnabviyah (peace be upon Him) in the commentary of Holy Qur'an by Al-Imam Al Qusheri is a critical study of the said aspects described in this commentary. Some examples are described to prove the special style, method of Al Imam Al Qusheri in his commentary.

Keywords: Commentary, Holy Qur'an, Hadith, Sufiasm, Hidden Allusion, Sufi

ان القرآن الكريم هو كلام الله تعالى المنزل على النبى الكريم لهداية الناس، وهو مصدر اساسى للتعاليم الاسلامية- وان الصحابة رضوان الله عليهم اجمعين يعودون، ويسالون ويستفسرونه صل الله عليه وآله وسلم عند الحاجة لتوضيح معانى كلام الله تعالى- وعندما التحق رسول الله صل الله عليه وآله وسلم بالرفيق الاعلى وظل الصحابة والتابعون يتدارسون القرآن الكريم مفسرين ومستنتجين منها ما يعن لهم من القضايا والاحداث ،فاهتموا بشرح كلماته وبيان معانيه وتفسير احكامه ،فكان القرآن الكريم محوراً للعلوم كلها وهدف للدراسات على مرور العصور والازمان- وهذا اظهر من الشمس، ان التفاسير المبتكرة وصلتنا كلها تقريبا فى مسلسلات الرواة و اسانيد القرا.

---

*الأستاذة المشاركة،بجامعة بهاء الدين زكريا ملتان-

**الأستاذة المشاركة،بجامعة الكلية الحكومية للنساء فيصل آباد-

ان التفسير ظهر فى عهد الرسول، صل الله عليه وآله وسلم من جملة الاحاديث التى حدث بها الرسول فى تفسير بعض الآيات، وتوضيح الكثير من مجمل القرآن ومبهمه،ثم تناقل الصحابة تلك الاحادث التى اصبحت اساس التفسير بالماثور فيما بعد ذلک- فكان عبد الله بن عباس رضى الله عنه اول من وضع اسس التفسيربما تشربت به روحه من صحبة النبى ﷺ من علم وبما كان له ذوق ادبى رفيع ،ومعرفة بكلام العرب وتواريخهم- وقد نقل الامام ابن كثير فى تفسيره:

" ترجمان القرآن وابن عم الرسول صلى الله عليه وسلم. وقد ثَبتَ في الصحيحين عن عائشة أمّ المؤمنين، رضي الله عنها، قالت: أهْدَى النبي صلى الله عليه وسلم مَرة غنمًا"[1]

وقد ذكر الشيخ النيسابورى فى تفسيره عن ابن عباس:

"وهو ترجمان القرآن، وحبر هذه الأمة وربانيهم (وقد) دعا (له) رسول الله (صلى الله عليه وسلم)، فقال: "اللهم علمه التأويل ، وفقهه في الدين"-[2]

فصار علم التفسير علماً واسعاً وفنًامستقلا فى التاريخ الاسلامى- وقد عرف بعض العلماء المتقدمين علم التفسير بقوله:

"التفسير علم يبحث فيه عن كيفية النطق بالفاظ القرآن ومدلولاتها واحكامها الافرادية والتراكيبية"- [3]

فى هذه المقاله الوجيزة. نكشف عن جوانب السيرة النبوية من تفسير القشيرى للامام القشيرى هو الشيخ عبد الكريم بن هوازن بن عبد الله عبدالملک القشيرى النيسابورى، شيخ الاسلام والصوفية فى عهد خراسان من عربى النسب من قبيلة قشير العدنانية بهوازن وصاحب " الرسالة القشيرية " فى التصوف ورجاله - وقد نشاء فى نيسابور التى كانت تعج بالنشاط العلمى والعقلى- وكان عبد الكريم أبي القاسم بن هوازن القشيري إماماً مناظراً مفسراً أديباً علامة متكلماً- وقد تتلمذ على الشيخ ابى على الدقائق امام وقته فى التصوف،ودرس على جهابذة عصره فى القرن الرابع واوائل القرن الخامس الهجرى كابى بكر الطوسى وابن فورق وابى اسحاق الاسفراييني وغيرهم- وجذبته الطريقة الصوفية فى تفكير السلوک والممارسة ،وخضاصة عندما وجد فى الشيخ ابى على الدقائق ما يمثل

[1] أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي،**تفسير القرآن العظيم**،(٧٠٠ -٧٧٤ هـ)، ١: ١٩٦

[2] بو إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي النيسابوري، **الكشف والبيان**،١: ٧٥

[3] عبد القادر زمامه واخرون، **معجم تفاسير القرآن الكريم**،١ ،(المقدمة)

مقومات التصوف من اهتما م بعلم القلوب و حقية النفس وتذكية النفس - وقد سافر الى العراق وسجنه ثم الى بغداد ولقى فى بغداد تكريماً ثم عاد الى بلاده بعد عشر سنوات من الاغتراب ،ليجد ما يستحقه من التكريم والتعظيم ،مدرساً و مربياً وعالماً وصوفياً -[4]

ومن منهج هذا التفسر المعننون ب :"بلطائف الاشارات "،فنجد خصائص التفسير الصوفى المعروف بالتفسير الاشارى، على النحو الذى يحقق التوازن بين التوجيه الاخلاقى العام للقرآن الكريم المتعلق بتربية النفس الملامسة نزعاتها الباطنية وتزكيتها و بين التصوف الاسلامى- ويقول الاستاذ حسن عباس زكى فى تقديمه للتفسير:" فانت خلال قراة "اللطأف" تشعر ان كل صغيرة وكبيرة فى علوم الصوفية لها اصل من القرآن - ويتجلى ذلک بخاصة فيما ورد من المصطلح الصوفى صريحا فى النص القرآنى كالذكر والتوكل والرضا والولى والولاية والحق والظاهر والباطن والقبض والبسط"-[5]

سنذكرمنهج الامام القشيرى فى تفسيره عن جوانب السيرة النبويةﷺ لتوضيح تفسير بعض آيات القرآن الكريم.

وقد نقل الامام القشيرى الروايات المختلفة موضحاً مفهوم الحروف المقطعات اى :" الم " ومنها :" وقيل الألف تدل على اسم « الله » واللام تدل على اسم « جبريل » والميم تدل على اسم « محمد » صلى الله عليه وسلم ، فهذا الكتاب نزل من الله على لسان جبريل إلى محمد صلى الله عليه وسلم ."[6]

وقد ذكر الامام القشيرى احوال المنافقين لتوضيح مفهوم الآية الكريمة (فى قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ)[7]

"وإرفاق المرتدين عن طريق الإرادة – عند الصادقين منهم – غير مقبول كما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يقبل زكاة ثعلبة ".[8]

---

[4]الامام شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي البغدادي، **معجم البلدان**، ٢: ١٤٩٢- السمعانى،الامام ابي سعد عبد الكريم بن محمد بن منصور، **الانساب**،١٣: ١٢٦

[5]عبد القادر زمامة واخرون، **معجم تفاسير القرآن الكريم**،١: ٤٨٨

[6]ابو القاسم ،عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملک، **تفسير القشيرى السمى لطائف الاشارات**،ط، ٢، ١: ١٦

[7]البقرة:١٠

[8] القشيرى ،ابو القاسم ،عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملک: تفسير القشيرى المسمى لطائف الاشارات، ط:٢، ١: ٢٤

وقد قال الامام القشیری فی تفسیرقوله عز وجلّ (وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ)[9]

عرَّفَه اللَّهُ سبحانه أخبارَ مَنْ قبْلَه من الأنبياء عرَّفه أنه اجتمعت فيه متفرقاتُ أخلاقهم فقال له:(وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ) ويقال:إنه عَرَضَ مفاتيحَ الأرضِ فلم يقبلْها ، ورقّاه ليلةَ المعراج ، وأراه جميع المملكة والجنة فلم يلتفت إليها ، قال تعالى (مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى)[10] فما التفت يميناً ولا شمالاً، ولهذا قال تعالى (وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ) . . . ويقال : (على خلق عظيم) : لا بالبلاءِ تنحرف، ولا بالعطاءِ تنصرِف؛ احتمل صلوات الله عليه في الأذى شَجَّ رأسِه وثَغْرِه ، وكان يقول :" اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون " وغداً كلٌّ يقول : نفسي نفسي وهو صلوات الله عليه يقول : "أمتي أمتي "- ويقال : عَلّمه محاسنَ الأخلاق بقوله : (خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ)[11] .سأل صلواتُ الله عليه جبريل :" بماذا يأمرني ربي؟ قال : يأمرك بمحاسن الأخلاق; يقول لك :" صِلْ مَنْ قَطَعَكَ وأعْطِ مَنْ حَرَمك واعفُ عَمَّن ظَلَمَك " فتأدَّبَ بهذا؛ فأثنى عليه وقال :(وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ).

وقد قال الله تعالى (لَّقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحاً قَرِيبا).[12]

هذا بيعة الرضوان ، وهي البيعة تحت الشجرة بالحديبية ، وسميت بيعة الرضوان وقد اشار الامام القشیری الی هذه الوقعة الاسلامية التاريخية كما روى فی كتب التاريخ الاسلامی كما ذكر الامام السهيلی فی كتابه:

"قال ابن إسحاق: فحدثني عبد الله بن أبي بكر:أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال حين بلغه أن عثمان قد قتل " لا نبرح حتى نناجز القوم " فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس إلى البيعة. فكانت بيعة الرضوان تحت الشجرة، فكان الناس يقولون بايعهم رسول الله صلى الله عليه وسلم

---

[9] القلم:۴

[10] النجم:۱۷

[11] الاعراف:۱۹۹

[12] الفتح:۱۸

على الموت وكان جابر بن عبد الله يقول إن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يبايعنا على الموت ولكن بايعنا على أن لا نفر".[13]

وقال الله تعالى (لَّقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عِنِ . . . الْمُؤْمِنِينَ)[14]

وقد ذكر الامام القشيرى بعض من جوانب السيرة النبوية كما هو يذكروقعة وصول نبينا محمد رسول الله عليه وآله وسلم الى مكة لغرض زيارة بيت الله مع اصحابه رضوان الله عليهم اجمعين مع ذكر روئيته ﷺ:

"وكانوا ألفاً وخمسمائة وقيل وثلاثمائة وقيل وأربعمائة . وكانوا قصدوا دخولَ مكة ، فلما بلغ ذلك المشركين قابلوهم صادِّين لهم عن المسجد الحرام مع أنه لم يكن خارجاً لحرب ، فقصده المشركون، ثم صالحوه على أن ينصرفَ هذا العام ، ويقيم بها ثلاثاً ثم يخرج ، (وأن يكون بينه وبينهم صلح عشرة أعوام يتداخل فيها الناس ويأمن بعضهم بعضا) وكان النبي قد رأى في منامه أنهم يدخلون المسجد الحرام آمنين ، فبشر بذلك أصحابه ، فلما صدهم المشركون خامر قلوبَهم ، وعادت إلى قلوب بعضهم تهمةٌ حتى قال الصَّدِّيقُ : لم يَقُلْ العام! فسكنت قلوبهم بنزول الآية؛ لأن الله سبحانه علم في قلوبهم من الاضطراب والتشكك . فأنزل السكينة في قلوبهم . وثبَّتهم باليقين (وَأَثَابَهُمْ فَتْحاً قَرِيباً) هو فتحُ خيبر بعد مدة يسيرة ،وما حصلواعليه من مغانم كثيرةٍ من خيبر. وقيل ما يأخذونه إلى يوم القيامة".[15]

وقد فسرالامام القشيرى هذه الآية الكريمة ذكرا بعض من معجزات النبى ﷺ:

(اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ)[16] "أجمع أهلُ التفسير على أنَّ القمرَ قد انشقَّ على عهد الرسول صلى الله عليه وسلم .قال ابن مسعود: « رأيت حراء بين فلقتي القمر » ولم يوجد لابن مسعود مخالف في ذلك؛ فقد روي أيضاً عن أنس وابن عمر وحذيفة وابن عباس وجبير بن مطعم .-. كلهم رووا هذا الخبر .وفيه إعجازٌ من وجهين: أحدهما رؤية مَنْ رأى ذلك ، والثاني خفاء مثل ذلك على مَنْ لم يَرَه؛ لأنه لا ينكتم مثله في العادة فإذا خفي كان نقض العادة .وأهل مكة رأوا ذلك ، وقالوا : إنَّ محمداً

---

[13]أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد السهيلي (المتوفى:٥٨١هـ) الروض الأنف في شرح السيرة النبوية لابن هشام،ط،١، ٧: ٤٦

[14]الفتح:١٨

[15]ابو القاسم ،عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك، **تفسير القشيرى السمى لطائف الاشارات**،٤: ٣٤٥

[16]القمر:١

قد سحر القمر .ومعنى (اقْتَرَبَتِ السَّاعِةُ): أي ما بقي من الزمانِ إلى القيامةِ إلا قليلٌ بالإضافةِ إلى ما مضى ". وقد استفاد الامام القرطبى من تفسير الامام القشيرى كما هو يقول موضحا الآية المذكرة فى تفسيره: " وكذا قال القشيري. وذكر الماوردي : أن هذا قول الجمهور ، وقال : لأنه إذا انشق ما بقي أحد إلا رآه ؛ لأنه آية والناس في الآيات سواء. وقال الحسن : اقتربت الساعة فإذا جاءت انشق القمر بعد النفخة الثانية ".[17]

وقال الله تعالى فى القرآن الكريم :(يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ)[18]

وقد ذكر الامام القشيرى فى تفسيره هذه الآية الكريمة:

"جاء في القصة :أن النبي صلى الله عليه وسلم حَرَّم على نفسه مارية القبطية ، وفي الحال حَلَفَ ألاَّ يطأَها شهراً مراعاةً لقلب حفصة حيث رأت النبي صلى الله عليه وسلم معها في يومها.وقيل: حَرَّمَ على نَفْسِه شرْبَ العسل لما قالت له زوجاته ، إنَّا نشم منك ريح المغافير!- والمغافير صمغ في البادية كريه الرائحة، ويقال: بقلة كريهة الرائحة . . . فعاتَبَه اللَّهُ على ذلك .وهي صغيرةٌ منه على مذهب مَنْ جَوَّزَ الصغائر عليه ، وتَرْكٌ للأَوْلَى على مذهب مَنْ لم يجوِّز .وقيل : إنه طَلَّقَ حفصة طلقةً واحدة ، فأمره الله بمراجعتها، وقال له جبريل : إنها صوَّامَةٌ قوَّامَة .وقيل: لم يطلقها ولكن هَمَّ بتطليقها فَمَنَعه اللَّهُ عن ذلك .وقيل: لما رأته حفصة مع مارية في يومها قال لها: إنِّي مُسِرٌّ إليك سِرّاً فلا تخبري أحداً : إنَّ هذا الأمر يكون بعدي لأبي بكر ولأبيك .ولكن حفصة ذكرت هذا لعائشة ، وأوحى الله له بذلك ، فسأل النبيُّ حفصة : لِمَ أخبرتِ عائشة بما قلت؟فقالت به : ومَنْ أخبرك بذلك؟قال أخبرني الله، وعَرَّفَ حفصةَ بعضَ ما قالت، ولم يصرِّحْ لها بجميع ما قالت، قال تعالى: (عَرَّفَ بَعْضَهُ وَأَعْرَضَ عَن بَعْضٍ)[19] ،فعاتبها على بعضٍ وأعرْضَ عن بعض – على عادة الكِرام .ويقال : إن النبي – صلى الله عليه وسلم – لما نزلت هذه الآية كان كثيراً ما يقول: «اللهم إني أعوذ بك من كل قاطعٍ يقطعني

[17]القرطبى ،أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (المتوفى:٦٧١هـ): **الجامع لأحكام القرآن**،١٧: ١٢٥

[18]ال تحريم:١

[19]ال تحريم:٣

عنك».وظاهرُ هذا الخطاب عتاب على أنَّه مراعاةً لقلب امرأته حَرَّمَ على نفسه ما احلَّ اللَّهُ له.والإشارةُ فيه: وجوبُ تقديم حقِّ الله – سبحانه – على كل شيء في كل وقت ."[20]

وجدت هذه الرواية النبوية : « الل هم إني أعوذ بك من كل قاطعٍ يقطعني عنك »الا فى تفسير روح البيان و تفسير حقى موافقاً على تفسير القشيرى.[21]

وقال الله تعالى فى القرآن الكريم: (يَا أَيُّهَا المُزَّمِّلُ– قُمِ الَّيْلَ إِلاَّ قَلِيلاً)[22]

وقد فسر الامام القشيرى هذه الآية الكريمة مذكورا رواية مباركة:

"أي: المتزمل المتلفِّف في ثيابِه. وفي الخبر : " أنه كان عند نزول هذه الآية عليه مِرْطُ من شَعْرٍ وَبَرٍ ، وقالت عائشة رضي الله عنها: ونصفه على رسول الله وهو يُصَلِّي ، وطولُ المِرْطِ أربعةُ عشر ذراعاً".

ونجد هذه الرواية المباركة فى التفاسير العديدة المعتبرة مثلما فى تفسير الجامع لاحكام القرآن لامام القرطبى والكشاف للزمخشرى روح المعانى لعلامة الالوسى والبحر المحيط لعلامة لابى حيان الغرناطى وتفسير السراج المنير لعلامة الشربينى وغرائب القرآن ورغائب الفرقان لنظام الدين النيسابورى.[23]

وقد ذكر الامام القشيرى وقعة السيرة النبوية مفسرا الآية الكريمة: (وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ)[24] .قيل: الليلُ إذا دخَلَ . وفي خبرٍ ، أنه صلى الله عليه وسلم أخذ بيد عائشة ونَظَرَ إلى القمر فقال : « يا عائشة ، تَعَوَّذِي بالله من شرِّ هذا فإنه الغاسقُ إذا وقب ».

وكذا نقل الامام النسائى هذا الحديث:

"أخبرنا محمود بن غيلان قال حدثنا الحفري عن سفيان عن بن أبي ذئب عن الحاث عن أبي سلمة عن عائشة قالت حديث أخذ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بيدي فأرابي القمر حين طلع فقال تعوذي بالله من شر هذا الغاسق إذا وقب ".[25]

---

[20]ابو القاسم ،عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك، **تفسير القشيرى السمى لطائف الاشارات**، ٧: ٤٤٠

[21]إسماعيل حقي بن مصطفى الإستانبولي الحنفي الخلوتي، **تفسير روح البيان**، ١٠: ٣٧

[22]المزمل:١-٢

[23]الزمخشرى،أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، **الكشاف**،٧ : ١٦٤ – الالوسى، شهاب الدين محمود ابن عبدالله الحسيني، **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني**، ٢١: ٣٢٩

[24]الفلق:٣

[25]النسائى ،الامام أبي عبد الرحمن أحمد بن شعيب، **السنن الكبرى**، ط:١، ١: ٨٤

وقد ذكر الامام القشيرى وقعة المعراج و الإسراء مفسرا للآية الكريمة:" (سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ).[26]

افتتح السورةَ بِذِكْرِ الثناء على نَفْسه فقال : (سُبْحَانَ الَّذِي) : الحقُّ سبَّحَ نَفْسَه بعزيزِ خطابِه، وأخبر عن استحقاقه لجلال قَدْرِه ، وعن توحُّده بعلوِّ نُعُوتِه .ولما أراد أَنْ يَعْرِفَ العِبادُ خَصَّ به رسولَه صلى الله عليه وسلم – ليلةَ المعراجِ من عُلوِّ ما رقَّاه إليه ، وعِظَمِ ما لَقَّاه به أَزالَ الأعُجوبةَ بقوله: (أَسْرَى) ، ونفى عن نبيِّه خَطَرَ الإعجاب بقوله: (بِعَبْدِهِ)؛ لأَنَّ مَنْ عَرَفَ ألوهيته ، واستحقاقَه لكمالِ العِزِّ فلا يُتَعَجَّبُ منه أن يفعل ما يفعل ، ومَنْ عرف عبوديةَ نَفْسِه ، وأَنَّه لا يَمْلِكُ شيئاً من أمره فلا يُعْجَبُ بحاله . فالآية أوضحت شيئين اثنين : نَفَى التعجَّبِ من إظهارِ فِعْلِ اللَّهِ عزَّ وجل ، ونفَى الإعجاب في وصف رسول الله عليه السلام .

ويقال أخبر عن موسى عليه السلام – حين أكرمه بإسماعه كلامه من غير واسطة – فقال: (وَلَمَّا جَآءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا)[27] وأخبر عن نبينا صلى الله عليه وسلم بأنه (أَسْرَى بِعَبْدِهِ) وليس مَنْ جاءَ بنفْسِه كمنْ أَسْرَى به ربُّه ، فهذا مُحْتَمَلٌ وهذا محمول ، هذا بنعت الفَرْقِ وهذا بوصف الجمع، هذا مُرِيدٌ وهذا مُرَادٌ .ويقال جعل المعراجَ بالليل عند غَفْلَةِ الرُّقَبَاءِ وغَيْبَةِ الأجانب ، ومن غير ميعاد، ومن غير تقديم أُهْبَةٍ واستعداد، كما قيل:ويقال جعل المعراجَ بالليل ليُظْهِرَ تصديقَ مَنْ صَدَّقَ، وتكذيبَ مَنْ تعجَّب وكَذبَ أو أنكر وجحد.ويقال لما كان تعبُّدهُ صلى الله عليه وسلم وتهجُّدُه بالليل جَعَلَ الحقُّ سبحانه المعراجَ بالليلِ .

ويقال :ليلةُ الوَصْلِ أَصْفَى ... من شهور ودهور سواها .

ويقال أرسله الحقُّ – سبحانه – ليبتعلَّم أهلُ الأرضِ منه العبادة ، ثم رَقَّاه إلى السماءِ ليتعلَّمَ الملائكةُ منه آدابَ العبادة ، قال تعالى في وصفه – صلى الله عليه وسلم – : (مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى)[28] فما التَفَتَ يميناً وشمالاً ، وما طمع في مقامٍ ولا في إكرام؛ تجرَّد عن كلِّ طلبٍ وأَرَبٍ .

قوله: (لِنُرِيَهُ مِنْ ءَايَآتِنَا) : كان تعريفه بالآيات ثم بالصفات ثم كَشْفٌ بالذات . ويقال من الآيات التي أراها له تلك الليلة أنه ليس كمثله – سبحانه – شيءٌ في جلالِهِ وجماله ، وعِزِّه وكبريائه،

---

[26] بنى اسرائيل: ١

[27] الاعراف::١٤٣

[28] النجم::١٧

ومجده وسنائه .ثم أراه من آياته تلك الليلة ما عَرَفَ به صلوات الله عليه – أنه ليس أحدٌ من الخلائق مثْلَه في نبوته ورسالته وعلوّ حالته وجلال رتبته.[29]

وقد اشار الامام القشيرى عن وقعة الافک فى تفسيره:

"وكذلك كانت حالة النبيّ صلى الله عليه وسلم . في حال حديث الإفك ، وكذلك حالة أيوب عليه السلام؛".[30]

وقد فسرالامام القشيرى هذه الآية الكريمة:

(وَتَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ)[31] "تكتمون الحق في شأن محمد عليه السلام وأنتم تعلمون أنه النبي الصادق ، وهل هذا حكم الخذلان وقضية الحرمان ، ثم أخبر أَنَّ منهم من ينافق في حالته ، فيريد أن يدفع عنه أذى المسلمين ، ولا يخالف إخوانه من الكافرين ، فتواصوا فيما بينهم بموافقة الرسول عليه السلام والمسلمين جهراً ، والخلوص في عقائدهم الفاسدة بعضهم مع بعض سِرَّاً ."[32]

وقد فسر الامام القشيرى هذه الاية الكريمة: (آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا---)[33] هذه شهادة الحق – سبحانه – لنبيِّه – صلى الله عليه وسلم وعلى آله – بالإيمان ، وذلك أتمُّ له من إخباره عن نفسه بشهادته .ويقال آمن الخَلْق كلُّهم من حيث البرهان وآمن الرسول – عليه السلام – من حيث العيان .ويقال آمن الخَلْق بالوسائط وآمن محمد – صلى الله عليه وسلم – بغير واسطة .ويقال هذا خطاب الحق معه ليلة المعراج على جهة تعظيم القَدْر فقال : (آمَنَ الرَّسُولُ) ، ولم يقل آمَنتَ ، كما تقول لعظيم الشأن من الناس : قال الشيخ ، وأنت تريد قلتَ.[34]

وقد فسر الاما م القشيرى الاية الكريمة: (أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِنًا ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا).[35]

---

[29] ١ابو القاسم ،عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملک،**تفسير القشيرى السمى لطائف الاشارات**، ۴: ۲۲۹

[30] نفس المصدر، ۴: ۴۳

[31] آل عمران: ۷۱

[32] ١ابو القاسم ،عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملک،**تفسير القشيرى السمى لطائف الاشارات**، ۱: ۳۳۴

[33] البقرة:۲۸۵

[34] نفس المصدر، ۱: ۲۷۵

[35] الفرقان:۴۵

قيل نَزَلَ الرسول – صلى الله عليه وسلم – في بعض أسفاره وقت القيلولة في ظل شجرة وكانوا خَلْقاً كثيراً فَمَدَّ اللَّهُ ظِلَّ تلك الشجرة حتى وسع جميعَهم وكانوا كثيرين ، فأنزل الله هذه الآية ، وكان ذلك من جملة معجزاته عليه السلام .

وقيل إن الله في ابتداء النهار قبل طلوع الشمس يجعل الأرضَ كلَّها ظلاً ، ثم إذا طلعت الشمسُ وانبسط على وجه الأرض شعاعُها فكلُّ شخصٍ يُبْسَطُ له ظِلٌّ ، ولا يُصيب ذلك الموضعَ شعاعُ الشمس ، ثم يتناقص إلى وقت الزوال ، ثم يأخذ في الزيادة وقت الزوال . وذلك من أماراتِ قدرة الله تعالى؛ لأنه أجرى العادة بخلق الظلِّ والضوء والفيء.[36]

امام القشيرى للكلمة القرانية: ''الفرقان " ٢:٥٣ : فرقان هذه الأمة الذي اخْتَصُّوا به نورٌ في قلوبهم ، به يُفَرِّقون بين الحق والباطل ، قال النبي صلى الله عليه وسلم لوابصة : « استفتِ قلبك». وقال: «اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله».[37]

وقد فسر الامام القشيرى هذه الآية الكريمة موافقا على الاحاديث النبوية كما روى الامام الترمذى هذا الحديث المذكور: "حدثنا محمد بن إسماعيل حدثنا أحمد بن أبي الطيب حدثنا مصعب بن سلام عن عمرو بن قيس عن عطية عن أبي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه و سلم اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله –– "[38]

وقد فسر الامام القشيرى هذه الاية الكريمة : وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا تَنْفَعُهَا شَفَاعَةٌ وَلَا هُمْ يُنْصَرُونَ[39]

أَمَّا الأعداء فلا يَقْبَلُ منهم شيئًا ، وأمَّا الأولياء فقال صلى الله عليه وسلم : « اتقوا النار ولو بِشِقِّ تمرة»، والكفار لا تنفعهم شفاعة الشافعين فهذا حكم كل أمةٍ مع نبيِّها ، وأمَّا المؤمنون – فعلى التخصيص – تنفعهم شفاعة نبيِّهم صلى الله عليه وسلم .وكلُّ أحدٍ يقول يومئذٍ نفسي نفسي ونبيُّنا صلى الله عليه وسلم يقول:«أمتي أمتي ».[40]

---

[36]نفس المصدر، ٥١: ٣٨٢

[37]نفس المصدر، ١: ٦٠

[38]احمد بن عيسى أبو عيسى الترمذي السلمي، **الجامع الصحيح سنن الترمذي**، ٥: ٢٩٨،٢٩

[39]البقرة:١٢٣

[40]ابو القاسم ،عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملک، **تفسير القشيرى السمى لطائف الاشارات**، ١: ٦٠

وهذه الرواية المباركة فى كتب الاحاديث المعتبرة كما يقول محمد بن فتوح الحميدى فى كتابه:

فقال حدثنا محمد (صلى الله عليه وسلم) قال إذا كان يوم القيامة ماج الناس بعضهم إلى بعض فيأتون آدم فيقولون له اشفع لذريتك فيقول لست لها ولكن عليكم بإبراهيم فإنه خليل الله فيأتون إبراهيم فيقول لست لها ولكن عليكمبموسى فإنه كليم الله فيؤتى موسى فيقول لست لها ولكن عليكم بعيسى فإنه روح الله وكلمته فيؤتى عيسى فيقول لست لها ولكن عليكم بمحمد فأوتى فأقول أنا لها وأنطلق فاستأذن على ربي فيؤذن لي فأقوم بين يديه فأحمده بمحامد لا أقدر عليه الآن يلهمنيه الله ثم أخر له ساجداً فيقال يا محمد ارفع رأسك وقل يسمع لك وسل تعطه واشفع تشفع فأقول يا رب أمتي أمتي فيقال انطلق فمن كان في قلبه مثقال حبة من برة أو شعيرة من إيمان فأخرجه منها فأنطلق فأفعل ثم ارجع إلى ربي فأحمده بتلك المحامد ثم أخر له ساجداً فيقال لي يا محمد ارفع رأسك وقل يسمع لك وسل تعطه واشفع تشفع فأقول رب أمتي أمتي فيقال لي انطلق فمن كان في قلبه مثقال حبة من خردل من إيمان فأخرجه منها فأنطلق فأفعل ثم أعود إلى ربي فأحمده بتلك المحامد ثم أخر له ساجداً فيقال لي يا محمد ارفع رأسك وقل يسمع لك وسل تعطه واشفع تشفع فأقول يا رب أمتي أمتي فيقال لي انطلق فمن كان في قلبه أدنى أدنى من مثقال حبة من خردلٍ من إيمان فأخرجه من النار فأنطلق فأفعل هذا حديث أنس الذي أنبأنا به فخرجنا من عنده ".[41]

وقد فسر الامام القشيرى هذه الاية الكريمة:

يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلَى الْحُرُّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالْأُنْثَى بِالْأُنْثَى فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتِّبَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ ذَلِكَ تَخْفِيفٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ فَمَنِ اعْتَدَى بَعْدَ ذَلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ[42]

حق القِصاص مشروع، والعفو خير، فمن جنح إلى استيفاء حقه فمُسَلَّمٌ له، ومن نزل عن ابتغاء حقه فمحسن، فالأول صاحب عبادة بل عبودية، والثاني صاحب فتوة بل حرية.

والدم المراق يجري فيه القِصاص على لسان أهل العلم ، وأمَّا على لسان الإشارة لأهل القصة فدماؤهم مطلولة وأرواحهم هدرة قال:

وإن فؤداً رعته لَكَ حامدٌ ... وإنَّ دماً أجريته بِكَ فاخِرُ

---

[41] محمد بن فتوح الحميدي: الجمع بين الصحيحين البخاري ومسلم، ٢: ٤١٥

[42] البقرة:١٧٨

وسفك دماء الأحباب (فوق) بِساط القرب خلوف أهل الوصال ، قال النبي صلى الله عليه وسلم : «اللونُ لونُ الدم والريحُ ريح المِسك »[43].

وقد روى هذا الحديث فى السنن الكبرى للبيهقى:

"أَخْبَرَنَا أَبُو الْحَسَنِ بْنُ عَبْدَانَ أَخْبَرَنَا أَحْمَدُ بْنُ عُبَيْدٍ حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ بْنُ إِسْحَاقَ حَدَّثَنَا أَبُو مُصْعَبٍ حَدَّثَنَا مَالِكٌ ح وَأَخْبَرَنَا أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الْحَافِظُ حَدَّثَنَا أَبُو الْحَسَنِ : أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ عُبْدُوسٍ حَدَّثَنَا عُثْمَانُ بْنُ سَعِيدٍ حَدَّثَنَا الْقَعْنَبِيُّ فِيمَا قَرَأَ عَلَى مَالِكٍ عَنْ أَبِى الزِّنَادِ عَنِ الأَعْرَجِ عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ –صلى الله عليه وسلم– قَالَ :« وَالَّذِى نَفْسِى بِيَدِهِ لاَ يُكْلَمُ أَحَدٌ فِى سَبِيلِ اللَّهِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَنْ يُكْلَمُ فِى سَبِيلِهِ إِلاَّ جَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَجُرْحُهُ يَثْعَبُ دَمًا اللَّوْنُ لَوْنُ الدَّمِ ، وَالرِّيحُ رِيحُ الْمِسْكِ ». رَوَاهُ الْبُخَارِىُّ فِى الصَّحِيحِ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ يُوسُفَ عَنْ مَالِكٍ ، وَأَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عُيَيْنَةَ عَنْ أَبِى الزِّنَادِ."[44].

وقد ذكر الامام القيشيرى عظمة سيدنا محمد رسول الله صلالوكذلك قال موسى عليه السلام: (رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي). وقال للمصطفى صلوات الله عليه: (أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ)[45]. فإن القلب في محل الشهود ، وهو أبداً بدوام أُنْس القرب ، قال صلى الله عليه وسلم : « تنام عيني ولا ينام قلبي » وقال : « أسألك لذة النظر » وصاحب اللذة لا يكون له حرج.[46]

وقد فسر الامام القيشيرى هذه الاية الكريمة: وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ الْتَقَيْتُمْ فِي أَعْيُنِكُمْ قَلِيلًا وَيُقَلِّلُكُمْ فِي أَعْيُنِهِمْ لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ[47]

قيل أراه إياهم في نومه صلى الله عليه وسلم – بوصف القِلَّة ، وأخبر أصحابه بذلك فازدادوا جسارة عليهم .وقيل أراه في منامه أي في محل نومه أي في عينيه ، فمعناه قلَّلَهم في عينيه؛ لأنهم لو استكثروهم لفشلوا في قتالهم ، ولانكسرت بذلك قلوبُ المسلمين.[48]

---

[43] ابو القاسم ،عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملک، **تفسير القشيرى السمى لطائف الاشارات**،١: ١

[44] أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي، **السنن الكبرى وفي ذيله الجوهر النقي**، ط:، ۴: ١١

[45] الم نشرح:١

[46] الترمذى ،ابوعيسى محمد بن عيسى بن سورة الترمذي،**سنن الترمذي وهو الجامع الصحيح**،٣: ١٠۴

[47] الانفال:۴۴

[48] ابو القاسم ،عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملک، **تفسير القشيرى السمى لطائف الاشارات**، ۴: ٣٣٩

وقد فسر الامام القيشيرى هذه الاية الكريمة :وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ[49]

وقد فسر الامام القشيرى تفسير الاية الكريمة:(الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ الَّذِى يَجِدُونَهُ مَكْتُوباً عِندَهُمْ فِى التَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالمعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ المنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الخَبَآئِثَ)[50]

أظهر شرفَ المصطفى – صلى الله عليه وسلم – بقوله: (النَّبِيِّ الأُمِّيّ) أي أنه لم يكن شيء من فضائله وكمال علمه وتهيؤه إلى تفصيل شرعه مِنْ قِبَلِ نَفْسِه ، أو من تعلُّمه وتكلُّفه ، أو من اجتهاده وتصرُّفه . . بل ظهر عليه كلُّ ما ظهر مِنْ قِبَله – سبحانه – فقد كان هو أميًّاً غير قارئٍ للكتب ، ولا مُتَتَبِّعٍ للسِّيَرَ.[51]

وكان الامام القشيرى عالما اسلاميا، وصوفيا،ادبيا عربياو مفسرا عظيماً وله مقام رفيع فى مجال التصنيف ،والدعوة والاصلاح-وقد فسر القرآن الكريم بالآيات القرآنية والاحاديث النبوية الشريفة واقوال الصحابة رضوان الله عليهم اجمعين نقلا اقوال الاولياء والصوفياموافقا على افكاره وعلى منهجه الخاص. وقد استفاد بعض من المفسرين المتجددى من تفسيره ماخوذاً اقواله وافكاره.

---

[49]الانفال:٤٦

[50]الاعراف:١٥٧

[51]ابو القاسم ،عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك، **تفسير القشيرى السمى لطائف الاشارات**، ٢: ٤٤٩